

الغربة.. نثرا وشعرا

فى أحدى الإجازات الصيفية للسودان زارنى أحد الصحفيين الشباب الذين يسكنون جوارى فى حى أركويت.. وطلب إجراء مقابلة صحفية معى .. وترددت كثيرا لأننى دائما ما تكون اجازتى قصيرة بصورة لا تسمح لى بمتابعة رجع الصدى فيما أقول وأكتب .. وكنت حذرا ولكنه وعدنى بمتابعة المقابلة .. ومراسلتى برودود الفعل وبدأت المقابلة التى نشرت فى صحيفة (ألوان) فى أغسطس عام 2000 و ... وكان هذا أول رد فعل حيث يتساءل الكثيرون لماذا (ألوان) بالذات وفى هذا الوقت بالذات ؟؟

وإذا كان للصحفى العذر فيما سأل فلأنه يمتلك خلفية من أحد الأقارب عن الماضى البعيد والقريب .. وقرأ بعض اصداراتى لكن القارئ العادى ابن الثلاثين وما دون - وهى سنوات اغترابى خارج الدولة - قطعا لا يعرف كثيرا عن الاجابات .. التى لا تخلو من الضبابية فى وقت لا تزال تلين وتضعف فيه القبضة الحديدية .. خاصة على القول .. ناهيك عن الفعل .. وكنت أملك اجابات قاطعة .. ذكرتها فيما بعد فى نفس الصحيفة .. وفى وقت لاحق .. وبالعنوان العريض بعدما أنفكت الحرية من عقالها .. ولو بالقدر اليسير وقد كنت منصفًا و عقلانيا الى الحد الكبير حتى بعد أن خرجنا من الأنغلاق الفصامى الى هوس النفثاح .. وتقديرا لذلك الشاب واصلت كتابة هذه المقالات فى صحيفة (ألوان) تقديرا أيضا لموقفها معى فى وقت الشدة وبداية زمن الأنفراج .. باطلاق سراح قلبي فى كل الاتجاهات .. وللصحفى الشاب (عثمان شيونه) والذي دفع ضريبة الحرية نيابة عنى فى بعض المواقف ..

خرجت من هذه التجربة .. بحسن ظنى بانى ما زلت أعيش فى ذاكرة بعض شرائح الاجيال اللاحقه .. رغم أننى قد غبت كثيرا عن دائرة الفعل فى الحركة الأدبية والفكرية والفنية الى آخر الساحات التى كنت ارتادها .. وما كان يمكن ان أعيد عقارب الساعة الى الوراء . لاعيش تجربة الماضى أو انقل الجيل اليها وصعب على ان أنقل تجاربى .. أو استشهد بها وهى ليست حاضرة فى العين ولا عالقة بالذاكرة .. ولا موجودة فى المكتبات داخل السودان ..

وكنت أشير الى بعض الأحداث وكاننى اتحدث عن الأساطير .. فجمعت اكبر قدر من اصداراتى الشعرية والعلمية وارسلتها الى الدار الوطنية للوثائق فى الخرطوم بارقام ايداع .. وكان هذا لا يكفى ..

ففى أحد مطالعاتى الى المنتدى فى الموقع الالكترونى (سودانيز اون لاين) طلب منى أحد القراء أحدى القصائد فأشرت اليه بأنها فى ديوان (الضياء والحريق) والذي صدر فى عام 1986م .. ورد بانه فى مقاطعة(ايوا - ليويزيانا)فى امريكا الشمالية لاكثر من 10 سنوات ولا يستطيع

الحصول على الديوان أو القصيدة .. ففكرت جدياً فى تصميم موقع الكترونى شخصى أجمع فيه شتات ما كتبت طوال رحلة العمر .. بالقدر المستطاع .. ونشرتها فى هذا الموقع و كتبت عنه فى صحيفة (الوان)

وكان من الطبيعى أن أكتب عن الغربية وأنا بالخارج طيلة ثلاثة عقود نشراً .. وشعراً .. وما كان يمكن لى إعادة ما كتبت الا بالإشارة الى الاصدارات للتدقيق والتوثيق من خلال الموقع .

والحق يقال .. وجدت ان كثيراً من الأسئلة التى طرحت والقضايا التى نوقشت كانت لى فيها اراء مسبقة .. ومواقف ثابتة موثقه وهى بضع دواوين .. أو عدة مقالاتى فى القضايا المطروحة .. فاكثفت بالاستشهاد والاستدال على ضعف القرائن .. ووجدت أننى قد عانيت فى صمت .. وكابدت فى صبر .. وقلته من الزملاء الذين عاصرونى بالداخل وعرفونى فى الماضى يدركون هذه الحقيقة ..حتى أبنائى الذين شبوا فى المهجر و وصلوا مرحلة النضج الفكرى و السياسى أعادوا قراءتى من خلال كتاباتى القديمة و أمل أن يعيدوا البحث عنى داخل الوطن

ويقيني ان من يراجع مرافعاتى المكتوبة فى أوقات متباعدة .. قد يندهش لمعايشتى أحداث السودان وأنا بالخارج اكثر مما يتوقع كثيرون يعيشون بالداخل أما لانهم تلوحهم شمس المعاناة أو يتقلبون فى حرارة التجربة أو يكتون بنير الأنظمة التى فرطت فى حقوقهم و أفرطت فى عقوقهم ..

ولكننى والحق يقال وللأمانة والتاريخ كنت أحاول جاهدا التفريق بين أحزان الوخن .. وخبغان الانظمة .. فلا أسقط على الأول مثالب الثانى .. وكانت مهمة صعبة للغاية .. أن تكظم الغيظ و تعفو عن الظالم خشية نشر الغسيل فى خارج الوخن وهو موقف أخلاقى ملزم و ملتزم-أو هكذا ينبغى أن يكون- و لا خيار لمن لا يختار .

والثمن الغالى الواجب السداد فى مثل هذه المواقف هو أن تشكر نظاما تختلف معه سياسيا اذا احتكم الى صوت العقل فى حق الوخن وأن تعادى نظاما لا تختلف معه سياسيا ولكنه فرط فى حق الوخن .. فقد اتفقت واختلفت مع كثير من الانظمة فى المواقف التى كانت تضع مصلحة الوخن فوق كل اعتبار .. ونادرا ما حدث ذلك .. وفى هذه الندرة كنت المتضرر الأول فى الاختلاف والاتفاق .. وما زالت راضيا فى الحاليتين .. ولسان حالى يقول فى قصيدة (لبيك .. يا وخنى) التى القيت فى المركز الثقافى السودانى فى عيد الاستقلال عام 1983م ونشرت فى الصحف السودانية ..

أجد واسعى فى هواك وغايتى أراك على الحالين عنى راضيا

ويوجد النص الكامل للقصيدة فى ديوان (أشباح المدينة) المجموعة الشعرية الكاملة -
المجلد الأول - ص 122. وهكذا تتوالى الاستدلالات والشواهد .. شهادة على العصر - أكررها
فى كل موضوع .. وفى كل مناسبة وفى كل لقاء .. وفى كل حلقة إذاعية أو تلفزيونية فى
هرولتى بين الداخل والخارج على مدى ثلاثة عقود .. هى أشجان الغربية .. نثرا وشعرا .

الدكتور الزين عباس عمارقـأبوظبى